كتاب

البر والصلة

كتاب

البر والصلة

للحافظ الإمام
جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن
ابن الجوزي البغدادي
المتوفى سنة ٥٩٧هـ

تحقيق وتعليق وتقديم
عادل عبد الموجود و علي معوض

طبعة جديدة محققة، مفهرسة، مبوبة ومصححة

مؤسسة الكتب الثقافية

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع
مؤسسة الكتب الثقافية فقط

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م

مؤسسة الكتب الثقافية

الصنائع . بناية الإتحاد الوطني . الطابق السابع . شقة ٧٨
هاتف المكتب : ٦٤٠٢٠٨
ص.ب : ١١٤/٥١١٥ - برقيا : الكتبكو - تلكس : ٤٠٤٥٩
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾[1] .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾[2] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾[3] .

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهَدْي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

---

(١) آل عمران (١٠٢) .

(٢) النساء (١) .

(٣) الأحزاب (٧٠ - ٧١) .

أمَّـــا بَعْـــــدُ

فقد بعث الله تعالى محمدا بالرسالة الخاتمة المشتملة على مافيه سعادة الأمم وحياة الشعوب ، حياة مستقرة منبثقة من « البر والصلة » الذى هو أعلى مراتب العبادة فى الإسلام فكان « البر والصلة » من أعظم المعانى التى اشتملت عليها تلك الرسالة المحمدية ، فلقد كتب الإسلام الإحسان على كل شىء ، وجعل من أَحْسَنِ العمل استدامة الصلة بين العبد وربه ، وبين الأفراد بعضهم ببعض ، فلا شك أن العلاقات فى أى مجتمع من المجتمعات تقوم فى أحسن الأحوال على التزامات من طرف نحو الطرف الآخر ، وهى باعتبار أدائها للغير تسمى « واجبات » وباعتبار استحقاقها لدى الغير تسمى « حقوقا » ، فكان من بين تلك الحقوق والواجبات البر والصلة .

فالبِرُّ كما قال « ابن الأثير » فى النهاية(١) بالكسر : الإحسان وهو فى حق الوالدين وحق الأقربين من الأصل ضد العقوق ، وهو الإساءة إليهم والتضييع لحقهم .

يقال : بَرَّ يَبَرُّ فهو بارٌّ وجمعه بَرَرَةٌ وجمع البَرّ أَبْرَار .

قال النووى فى شرح مسلم (٢) قال العلماء : البِرُّ يكون بمعنى الصلة .

قال ابن قرقول فى المطالع : البر اسم جامع للخير . وبر الأبوين كله من الصلة وفعل الخير والتوسع فيه واللطف والطاعة .

والبر فى استعمال الشرع : كلمة جامعة لكل أصناف الخير ويراد منه ما هو زائد عن حدود التقوى ، فهو مرتبة فوق التقوى ، ودون مرتبة الإحسان .

---

(١) ١ / ١١٦ وانظر لسان العرب ١ /٢٥٢ /٢٥٣ .
(٢) ١٦ / ١١١ .

أما الصلة : فهى العطف والحنان وصلة الله تعالى عبادَه رحمتُه لهم وعطفهُ سبحانه بنعمته عليهم أو صلته لهم بأهل ملكوته والرفيق الأعلى وقربه منهم وشرح صدورهم المغلقة(١) .

ولقد تنوعت العبادات التى أمر الإسلام بالإحسان فيها .

وكان من أعظمها وأجلها قدْرا وعناية من قِبَل المولى عز وجل وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بر الوالدين .

لقد قال جل شأنه ﴿وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا﴾(٢) .

قال القرطبى فى «تفسيره»(٣) (بر الوالدين : موافقتهما على أغراضهما ، وعلى هذا إذا أمر أحدهما ولدهما بأمر : وجبت طاعتهما فيه إذا لم يكن ذلك الأمر معصية ، وإن كان المأمور به من قبيل المباح فى أصله كذلك إذا كان من قبيل المندوب .

وقد ذهب بعض الناس : إلى أن أمرهما بالمباح يصيّره فى حق الولد مندوبا إليه وأمرهما بالمندوب : يزيده تأكيدا .

ثم قال : (من الإحسان إليهما والبر بهما – إذا لم يتعين الجهاد – ألا يجاهد إلا بإذنهما .. واختلفوا فى الوالدين المشركَيْن : هل يخرج بإذنهما إذا كان الجهاد من فروض الكفاية ؟ فكان الثورى يقول : لا يغزو إلا بإذنهما ، وقال الشافعى : له أن يغزو بغير إذنهما(٤) .

---

(١) الأبى على مسلم ٧ / ٤١٥ .
(٢) سورة الإسراء ٢٣ – ٢٤ .
(٣) القرطبى ١٠ / ٢٣٨ .
(٤) القرطبى ١٠ / ٢٣٨ .

وقال الجصاص فى أحكام القرآن(١) « قال أصحابنا : لا يجوز أن يجاهد إلا بإذن الأبوين إذا قام بإزاء العدو من قد كفاه الخروج ، قالوا : فإن لم يكن بإزاء العدو من قام بفرض الخروج : فعليه الخروج ، بغير إذن والديه لأن الجهاد حينئذ فرض عَيْن على كل قادر ، وليس فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين » .

وقالوا فى الخروج فى التجارة ونحوها – مما ليس فيه مقال – : لا بأس به بغير إذنهما لأن النبى ﷺ إنما منعه من الجهاد إلا بإذن الأبوين – إذا قام بالفرض غيره – لما فيه من التعرض للقتل وفجيعة الأبوين به ، فأما التجارات والتصرف فى المباحات التى ليس فيها تعرض للقتل فلم يحتج إلى استئذانهما وقال أصحابنا : لا ينبغى للرجل أن يقتل أباه الكافر إذا كان محاربا للمسلمين لقوله تعالى : ﴿ ولا تقل لهما أف ﴾ وقوله : ﴿ وإن جاهداك .... الآية ﴾ فأمر بمصاحبتهما بالمعروف فى الحال التى يجاهدانه فيها على الكفر . ومن « المعروف » ألا يشهر عليهما سلاحا ولا يقتلهما إلا أن يضطر إلى ذلك بأن يخاف أن يقتله أبوه إن ترك قتله ، فحينئذ يجوز قتله لأنه إذا لم يفعل ذلك فقد قتل نفسه بتمكين غيره منه ، وهو منهى عن تمكين غيره من قتله ، كما هو منهى عن قتل نفسه ، فجاز له حينئذ – من أجل ذلك – أن يقتله ، وقد نهى النبى ﷺ حنظلة بن أبى عامر الراهب عن قتل أبيه وكان مشركا .

ولقد عُنِى الإسلام ببر الوالدين أيضا بعد موتهما فقد قال جل شأنه ﴿ وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾ .

قال الإمام أبو بكر الجصاص : قال أصحابنا فى المسلم يموت أبواه وهما كافران أنه يغسلهما ويتبعهما ويدفنهما ، لأن ذلك من الصحبة بالمعروف التى أمر الله بها(٢) .

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ٤ / ٢٣٥ – ٢٣٦ .

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٢ / ٢٣٦ .

﴿وقل لهما قولا كريما﴾ .

لينا لطيفا مثل : (يا أبتاه ويا أماه من غير أن يسميهما أو يكنيهما) . وهو كل قول جميل يقتضيه حسن الأدب ويستدعيه النزول على المرؤة .

﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ .

الذل : اللّين ، فينبغى بحكم هذه الآية : أن يجعل الإنسان نفسه مع أبويه فى خير ذلة فى أقواله وسكناته ونظراته ولا يُحِدُّ إليهما بصره : فإن تلك هى نظرة الغاضب .

﴿وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا﴾ .

(وخص التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما فى التربية ، فيزيده ذلك إشفاقا لهما وحنانا عليهما . وقد نهى القرآن عن الاستغفار للمشركين الأموات فإن كان والدا المسلم ذميين استعمل معهما ما أمره الله به ها هنا إلا الترحم لهما بعد موتهما على الكفر[1] .

وقال الله تعالى : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلىّ المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل مَنْ أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾[2] .

وكذلك فى هاتين الآيتين أوامر ونواه ، فأما الأوامر ففى قول الله تعالى :

﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ .

---

(١) تفسير القرطبى ١٠ / ٢٤٤ .

(٢) سورة لقمان ١٤ ، ١٥ .

والمعنى : ونحن وصينا الإنسان بوالديه ، وأمرنا الناس بهذا ، وأمر به لقمان ابنه (١) وقوله : ﴿ أن اشكر لى ولوالديك ﴾ .

والمعنى : ووصينا الإنسان بوالديه : أن اشكر لى والديك ، وأجود منه : أن تكون « أن » مفسِّرة والمعنى قلنا له : أن اشكر لى ولوالديك . قيل : الشكر لله على نعمة الإيمان وللوالدين على نعمة التربية . وقال سفيان بن عيينة : « من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى ، ومن دعا للوالدين فى أدبار الصلوات فقد شكرهما »(٢) .

وقوله : ﴿ وصاحبهما فى الدنيا معروفا ﴾ .

قال القرطبى : والآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال إن كانا فقيرين وإلانة القول لهما ، والدعاء إلى الإسلام برفق(٣) .

وقوله : ﴿ واتبع سبيل من أناب إلىّ ﴾ يعنى : لا تطعهما فى الشرك ، ولا تنهج نهجهما ، بل انهجْ نهج المؤمنين التائبين إلى الله تعالى .

وأما النهى ، ففى قوله تعالى ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ ومثله قوله : ﴿ وإن جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾(٤) .

قال الإمام القرطبى : نزلت فى « سعد بن أبى وقاص » رضى الله عنه فيما روى الترمذى عنه قال : « أُنْزِلَت فىَّ أربع أيات ، فذكر قصته .. فقالتْ أمّ سعد : – يعنى بعد إسلامه – : أليس قد أمر الله بالبر ؟ والله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر . فنزلت هذه الآية(٥) .

---

(١) القرطبى ١٤ / ٦٤ .
(٢) القرطبى ١٤ / ٦٥ .
(٣) المرجع السابق ١٤ / ٦٥ .
(٤) العنكبوت : ٨
(٥) القرطبى ١٣ / ٣٢٨ .

قال القرطبى[1] : فإذا كان والدا المسلم ذميين استعمل معهما ما أمره الله به إلا الترحم لهما بعد موتهما على الكفر . كما سبقت الإشارة إليه .

ومن دعاء نبى الله نوح عليه السلام قول الله تعالى ﴿ رب اغفر لى ولوالدىّ ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا ﴾[2] تبارا : أى هلاكا ولقد جزى الله البارين بآبائهم فى الدنيا والآخرة . قال الله تعالى ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا ، حملته أمّه كُرْها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة قال : رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى ، إنى تبت إليك ، وإنى من المسلمين . أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة ، وَعْد الصِّدْق الذى كانوا يوعدون ﴾[3] .

كما أنّ بر الوالدين يزيد فى الرزق ويطيل العمر كما ستقف عليه فى كتابنا إن شاء الله . ولنا فى أنبياء الله وسلفنا الصالح الأسوة الحسنة فى « البر والصلة » .

فهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام يتلطف فى دعوة أبيه إلى الله فلما نهره أبوه قابله بالرفق والوعد بالاستغفار له . قال الله تعالى ﴿ واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا . إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا . يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا . يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا . يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا . قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم ، لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا . قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا ﴾[4] .

---

(١) ١٠ / ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٢) نوح : (٢٨) .

(٣) الأحقاف : ١٥ - ١٦ .

(٤) مريم : ٤١ - ٤٧ .

وكان ابنه كذلك مثاليا فى طاعة أبيه : قال الله تعالى ﴿ فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ﴾[1] .

وامتدح الله بر يحيى عليه السلام بوالديه .

قال تعالى ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، وآتيناه الحكم صبيا ، وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا ، وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ﴾[2] .

وانظر إلى سيدنا عيسى عليه السلام المبرء مما نسب إليه وبره بأمه . قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام ﴿ قال إنى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ﴾[3] .

وهذا سيدنا يوسف عليه السلام قال الله تعالى حاكيا بره ﴿ فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ، ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا ، وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا ، وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى ، إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ﴾[4] .

وأما سلفنا الصالح فكان منهم سيدنا أويس القَرنَى ، فعن أسير بن جابر ، قال : كان عمر بن الخطاب ، إذا أتى أمدادُ أهل اليمن سألهم : أفيكم أويس بن عامر ؟ حتى أتَى على أويس . فقال : أَنْتَ أويس بن عامر ؟ فقال : نعم . فقال : من مُرَادٍ ثُم مِنْ قَرَنٍ ؟

---

(١) الصافات : ١٠٠ - ١٠٢ .

(٢) مريم : ١٢ - ١٤ .

(٣) مريم : ٣٠ - ٣٢ .

(٤) يوسف : ٩٩ - ١٠٠ .

قال : نعم . قال : فكان بك بَرَصٌ فَبَرِأْتَ مِنْهُ إلا مَوْضِع درهم ؟ قال : نعم .

قال : لك والدة ؟ قال : نعم . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يأتى عليكم أويس بن عامر مع أَمْدَادِ أهل اليمن من مراد ، ثم من قرن ، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم ، له والدة هو بها بَرٌّ . لو أقسم على الله لأَبَرَّهُ ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل » فاسْتَغْفِرْ لى . فاسْتَغْفَرَ له . فقال عمر : أين تريد ؟

قال : أريد الكوفة . قال : ألا أكتب لك إلى عاملها ؟ قال : أكون فى غَبْراءِ الناس أحبُّ إلَىَّ .

قال : فلما كان من العام المُقْبِل حج رجل من أشرافهم . فوافق عمر . فسأله عن أويس

قال : تركتُه رَثَّ البيت قليل المَتَاعِ . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يَأْتِى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مُرَادٍ ثُمَّ من قَرَن ، كان به بَرَصٌ فبرأ منه إلا موضِعَ درهم ، له والدة هو بها بَرٌّ . لو أقسم على الله لأَبَرَّه ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل فأَتَى أويسا فقال : استغفر لى . قال : أنت أَحْدَثُ عَهْدًا بسفر صَالِحٍ ، فاستغفر لى . قال : استغفر لى ، قال : أنت أحدث عهداً بسفر صالح ، فاستغفر لى . قال : لَقِيتَ عُمَرَ ؟ قال : نعم . فاسْتَغْفَرَ له ، فَفَطِنَ له الناس ، فانطلق على وجهه[1] .

---

(١) أخرجه مسلم ٤ / ١٩٦٩ كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أويس القرنى رقم (٢٢٥) .

برُّ اليتيم وَصِلَتُه

ولقد كان من صور البر والصلة التى دعا إليها الإسلام كفالة اليتيم والرحمة به لكونه قد فَقَدَ ركنا كان يركن إليه ، وحصنا يحتمى به ، فَقَدَ القلب الذى يَحْنُو عليه ، والروح الذى كان يحوطه ويرعاه فتقوى أعصابه ، وتنمو جوارحه ، وينشرح صدره ، فقد بموت أبيه كل ذلك ، وأسلمته المقادير إلى الكآبة ، وَتَشَتُّتِ البالِ والحرمان ، فما أحوجه إلى عناية من الرؤوف الرحيم ، تَنْتَشِلُه من تلك الوهدة ، وتجعل له متنفسا يسرّى به نفسه . ما أحوجه إلى تشريع حكيم ووصية كريمة من رب رحيم تحفظ عليه نفسه ، وتحفظ له ماله ، وتُعِدُّه رجلا عاملا فى الحياة ، ليس كَلًّا على غيره ، ولا عِبْئًا على أُمته ، ولا عنصر شر بينهم ، لهذا كله عنى الإسلام كتابًا وسنة بأمر اليتيم والحث على تربيته ، والمحافظة على نفسه وماله ، وقد ظهرت عناية القرآن الكريم بشأن اليتيم منذ أن نزل إلى أن أكمل الله دينه ، وأتم على المؤمنين تشريعه ظهرت فى مكيه حينما عاد الوحى إلى النبى ﷺ بعد أن فتر عنه مدة طويلة توجس الرسول منها أن يكون الله قد قَلَاهُ وأبغضه فنزل عليه الوحى حينئذ يذكره بعناية الله له قبل النبوة فقال تعالى ﴿ألم يجدك يتيما فأوى﴾ ثم يطلب منه الشكر على تلك النعمة وأن يكون شكرها من جنسها عطفا على اليتيم ورحمة به ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ وتوالت الآيات التى تحث على إكرام اليتيم فقال تعالى ﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح﴾ وقال تعالى ﴿وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا﴾[1] وقال تعالى : ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ، ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ، فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا﴾[2] .

---

(١) النساء : ٢ .

(٢) النساء : ٦ .

ولقد ورد كذلك فى السنة النبوية وآثار السلف الصالح الشيء الكثير وهو ما سيطالعك به كتابنا إن شاء الله تعالى .

البِرُّ والصِّلَةُ والعِتْقُ

وكذلك من مظاهر البر والصلة التى حث الإسلام عليها العتق ، فلقد حَبَّبَ الإسلام فى العتق إلى حد لم يعهد له مثيل فى الأمم ، فجعل العتق جزاء فى الكفارات عن كثير من الآثام ، وحض عليه فى أحاديث كثيرة ، وسَهَّل على المملوكين سبيل الحرية بواسطة المكاتبة ، وهى أن يكاتب المولى عبده على مال يؤديه إليه فى مقابل عتقه ، فينصرف للعمل والكَدِّ حتى يؤدى لسيِّده ذلك المال فيصبح حرا ، ومن شدة رغبة الإسلام فى العتق أن جعل الله مصرفا من مصارف الزكاة ينفق على مساعدة الأرِقَّاء على الخلاص من أَسْرِهِم بإمداد المكاتبين بالمال لتوفية ما عليهم قال تعالى ﴿ .... وفى الرقاب ﴾(١) .

ومن أَجَلِّ وأكبر ما نذكره من آيات الإسلام أنه لم يوصد باب العلم فى وجه عبد بحجة عبوديته ، ولكن تُرِكَتْ له حرية التعلم والتبحر حتى وصل عدد كبير منهم إلى درجة الإمامة كبلال مولى أبى بكر ، وسالم مولى أبى حذيفة ، ونافع مولى عبدالله بن عمر ، وتولى كثير منهم الخطط الهامة فى القيادة والإدارة ، وقد ولى رسول الله ﷺ بلالا المدينة ، وولى أسامة بن زيد قيادة جيش فيه أبو بكر وعمر .

وقد جرى المسلمون على هذه السنة ، فاتفق أن كان معظم الأئمة فى الأقطار الإسلامية كانوا من الموالى .

قال العلامة السخاوى فى شرح ألفية الحديث للعراقى : إن هشام بن عبدالملك الخليفة الأموى قال للزهرى – إمام الحديث – يوما : « من يَسُودُ

---

(١) سورة التوبة : الآية ٦٠ .

أهل مكة ؟ فقال الزهرى : عطاء . قال هشام : بم سَادَهم ؟ فقال الزهرى : سَادَهم بالدِّيَانة والرواية ، فقال هشام : نعم ، من كان ذا ديانة حُقَّتْ الرِّياسة له ، ثم سأله الخليفة عن اليمن فقال الزهرى : إمامها طاووس ، وكذلك سأل عن مصر والجزيرة وخراسان والبصرة والكوفة ، فأخذ الزهرى يعد له سادات هذه البلاد ، وكلما سمى له رجلا كان هشام يسأله أهو عربى أم مولى ؟ فكان الزهرى يقول : مولى (أى أصله مملوك أو ابن مملوك) إلى أن أتى على ذكر النَخَعى ، فقال : إنه عربى ، فقال هشام : الآن فرجت عنى والله ليسودن الموالى العرب ويخطب لهم على المنابر » .

هذه آيات إسلامية تأخذ باللب والقلب معا ، وتدل فى جملتها وتفصيلها على أن الإسلام كان يعطى الحق لأهله بصرف النظر عن ألوانهم وجنسياتهم ، وجرى المسلمون على هذه الطريقة ، فلم يحرموا العبيد من تولى أرقى المناصب ، وقد اتفق أن تولى بعضهم الملك أيضا .

وهذه صفحة مجيدة من صفحات الإسلام تتمثل فيها أصول إسلامية هى أعجب ما وصل إلى علم البشر منذ خلقهم الله إلى اليوم . وأى شىء أعجب وأدل على عظمة هذا الدين من إحاطته الأرقاء وهم أضعف طوائف البشر وأحقرها فى العرف العام بهذه الحماية التى لم يسمع بمثلها فى الأرض ، وتخويله إياهم حقوقا على سادتهم ما كان يحلم بها الأحرار أنفسهم فى العهود الخالية .

هذا قليل من كثير مما ورد فى « البر والصلة » وإليك مزيدا من أنواع البر وصنوفه فى كتاب مؤلفنا « البر والصلة » .

ابْــن الجَــوْزِىّ[1]

الحافظ الإمام الثقة الفقيه المفسر الأصولى عبدالرحمن بن الجوزى .

علم من أعلام الفقه الإسلامى وداعية من دعاة الإسلام حمل لواء الدعوة الإسلامية أكثر من سبعين عاما ، كان رضى الله عنه فريدا بين علماء المسلمين فلم يترك ميدانا من ميادين العلم إلا أدلى بدلوه فيه من تفسير وفقه وحديث وأدب وتاريخ وغير ذلك مما ستقف عليه فى ترجمته – إن شاء الله تعالى – .

نسبــــه

الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام مفخر العراق ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبد الله بن عبد الله بن حمادى بن أحمد ابن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النفر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه القاسم بن محمد بن خليفه رسول الله – ﷺ – أبى بكر الصديق ، القرشى التيمى البكرى البغدادى الحنبلى الواعظ صاحب التصانيف المعروف بابن الجوزى .

وكان اسمه قبل ذلك المبارك فسماه شيخه الإمام الحافظ ابن ناصر عبد الرحمن .

---

(١) انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء ٢١ / ٣٦٥ وما بعدها رقم ١٩٢ البداية والنهاية ١٣ / ٣١ وفيات الأعيان ٣ / ١٤٠ رقم ٣٧٠ هداية العارفين ٥ / ٥١٩ وما بعدها طبقات المفسرين للداودى ١ / ٢٧٠ وما بعدها ، شذرات الذهب ٤ / ٣٢٩ ، غاية النهاية ١ / ٣٧٥ (١٥٩٢) طبقات الحفاظ للسيوطى ص ٤٨ تذكرة الحفاظ للذهبى ٤ / ١٣٤٢ ، والذيل على طبقات الحنابلة ١ / ٣٩٩ ، العبر ٤ / ٢٩٧ ، مرآة الجنان لليافعى ٣ / ٤٨٩ ، مفتاح السعادة ١ / ٢٤٥ ، النجوم الزاهرة ٦ / ١٧٤ رسالة دكتوراه « ابن الجوزى ومنهجه فى الدعوة إلى الله » للدكتور جمعة الخولى .

قال ابن القطيعى : وحكى لى أنه كان يسمى المبارك إلى سنة عشرين وخمسمائة .

وقال وَسمَّانِى لأخوى شيخنا ابن ناصر عبدالله وعبدالرحمن وعبدالرزاق وإنما كنا نُعْرَف بالكنى .

لَقَبُـــه

اشتهر الإمام الحافظ الفقيه أبو الفرج بالجوزى نسبة إلى جده الثامن جعفر ابن عبدالله فهو الذى لقب بالجوزى ثم توارث نسبه هذا اللقب واشتهر به أبو الفرج وعرف به .

والجوزى نسبة إلى الجوزة وقد اختلف المؤرخون فى هذه النسبة .

ذكر الذهبى أن جدهم عرف بالجوزى نسبة لجوزة كانت فى دارة بواسط ولم يكن بواسط جوزة سواها ونقل عن المنذرى أنه نسب إلى موضع يقال : فرضة الجوز وقال سبطه «أبو المظفر يوسف بن قُزْغُلي» وجعفر الجوزى منسوب إلى فرضة من فرض البصرة يقال : لها جوزة . وفى روضات الجنان نسبة إلى فرضة الجوز الذى هو موضع مشهور فى بغداد . وقال ابن العماد فى الشذرات : ذكر أنه منسوب إلى محلة بالبصرة تسمى محلة الجوز وكذا روى العليمى أن الشيخ عبدالصمد بن الجيشى ذكر أنه منسوب إلى محلة بالبصرة تسمى محلة الجوز .

مَـوْلِـــدُه

ولد الإمام البحر عام عشرة وخمسمائة على أرجح الأقوال .

مَسْمُـــوعـاتُـــه

سمع من أبى القاسم بن الحصين ، وأبى عبدالله الحسين بن محمد البارع ، وعلى بن عبدالواحد الدينورى ، وأحمد بن أحمد المتوكلى ، وإسماعيل بن أبى صالح المؤذن والفقيه أبى الحسن بن الزاغونى ، وهبة الله بن الطبر الحريرى وابن غالب ابن البناء وأبى بكر محمد بن الحسين المزْرفى وأبى غالب محمد بن الحسن الماوردى ، وأبى القاسم عبدالله ابن محمد الأصبهانى الخطيب والقاضى أبى بكر محمد بن عبدالباقى الأنصارى وإسماعيل ابن السمرقندى ويحيى ابن البناء وعلى ابن الموحد وأبى منصور بن خيرون ، وبدر الشيحى ، وأبى سعد أحمد بن محمد الزوزنى ، وأبى سعد أحمد بن محمد البغدادى الحافظ وعبدالوهاب بن المبارك النماطى الحافظ ، وأبى السعود أحمد بن على بن المجلى وأبى منصور عبد الرحمن بن زريق القزاز ، وأبى الوقت السجزى وابن ناصر ، وابن البطى ، وطائفة مجموعهم نيف وثمانون شيخا قد خرج عنهم مشيخة فى جزئين .

ولم يرحل فى الحديث لكنه عنده « مسند الإمام أحمد » والطبقات لابن سعد و « تاريخ الخطيب » وأشياء عالية والصحيحان والسنن الأربعة و « الحلية » وعدة تواليف وأجزاء يخرج منها .

وكان آخر من حدث عن الدينورى والمتوكلى .

وانتفع فى الحديث بملازمة ابن ناصر ، وفى القرآن والأدب بسط الخياط وابن الجواليقى وفى الفقه بطائفة .

حدث عنه : ولده الصاحب العلامة محيى الدين يوسف أستاذ دار المعتصم بالله ، وولده الكبير على الناسخ ، وسبطه الواعظ شمس الدين يوسف بن قزغلى الحنفى صاحب « مرآة الزمان » والحافظ عبد الغنى ، والشيخ موفق الدين ابن قدامة وابن الدبيثى وابن النجار ، وابن خليل والضياء ، والبلدانى ، والنجيب الحرانى ، وابن عبد الدائم ، وخلق سواهم .

وبالإجازة الشيخ شمس الدين عبد الرحمن وابن البخارى وأحمد ابن أبى الخير والخضر بن حموية والقطب ابن عصرون .

وكان رأسا فى التذكير بلا مدافعة يقول النظم الرائق والنثر الفائق بديها ويسهب ويعجب ويطرب ويطنب ، لم يأت قبله ولا بعده مثله فهو حامل لواء الوعظ والقيم بفنونه مع الشكل الحسن والصوت الطيب والوقع فى النفوس وحسن السيرة ، وكان بحرا فى التفسير ، علامة فى السير والتاريخ موصوفا بحسن الحديث ومعرفة فنونه ، فقيها عليما بالإجماع والاختلاف جيد المشاركة فى الطب ذا تفنُّن وفهم وذكاء وحفظ واستحضار وإكباب على الجمع والتصنيف مع التصون والتجمل وحسن الشارة ورشاقة العبارة ولطف الشمئل والأوصاف الحميدة والحرمة الوافرة عند الخاص والعام ما عرفت أحدا صنف ما صنف .

توفى أبوه وله ثلاثة أعوام فَرَبَّتهُ عمته وأقاربه كانوا تجارا فى النحاس ، فربما كتب اسمه فى السماع عبد الرحمن بن على الصفار .

ثم لما ترعرع ، حملته عمته إلى ابن ناصر ، فأسمعه الكثير ، وأحب الوعظ ولهج به ، وهو مراهق فوعظ الناس وهو صبى ثم مازال نافق السوق معظما متغاليا فيه ، مزدحما عليه ، مضروبا برونق وعظه المثل ، كماله فى ازدياد واشتهار ، إلى أن مات رحمه الله وسامحه فليته لم يخض فى التأويل ، ولا خالف إمامه .